سلسلة الصحابة الأخيار

عمّار بن ياسر





إمرأتانِ من سَيِّداتِ قُريشِ الفاضِلاتِ، وابنتا حَسَبٍ ونَسَبٍ، وصاحِبتا أخلاقٍ تَحَدَّثَتْ عن سُمُوِّها قَرَيشٌ كُلُّها. كانتا تَمشِيانِ مَرَّةً بينَ الصَّفا والمَرْوَةِ بِخَفَرٍ وَحياءٍ.

إحداهُما واحِدَةٌ من أغنى أغنياءِ قُريشٍ واسمُها: خديجةُ بنتُ خُويلدٍ عليها السلام، والأخرى أختُها هالَةُ. لم يَكُن جِبريلُ عليه السلام قد نَزَلَ بالنُّبُوَّةِ على النَّبيِّ صلى الله عليه وآله الّذي كانَ مشهوراً بِصِدقِهِ وأمانَتِهِ، وقدِ اخْتَبَرَتْهُ خَديجَةُ عليها السلام بِنَفسِها، حينَ أرسَلَتهُ بِتِجارَتِها إلى الشّامِ، فعادَ إليها بالخَيرِ كُلِّهِ، وراحَ غُلامُها مَيسَرَةُ يقُصُّ لها ممّا رآهُ من فَضائِلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الأعاجيبَ.

وفيما السَّيِّدتانِ تسيرانِ، إذ بدا لَهُما النَّبيُّ صلى الله عليه وآله ومَعَهُ أحَدُ أصحابِهِ يَمضِيانِ لِبَعضِ شُؤونِهِما.

وخَفَقَ قَلبُ خَديجَةَ عليها السلام، وهيَ تَلمَحُ الرَّجُلَ الّذي استَوطَنَ جَوارِحَها حتّى تمَنَّتْ من أعماقِ روحِها أن تكونَ حَلالَهُ، بَعدَ أن رَفَضَتْ عروضَ الكثيرينَ من رِجالِ قُرَيشٍ وساداتِها الّذينَ تمنّوا الزَّواجَ منها لما عَرَفوهُ من أخلاقِها، وما رأوهُ من جمالِها وعِفَّتِها.



كانَ من عادَةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أن يَغُضَّ طَرفَهُ في سَيرِهِ، فلم يَلحظِ المرأتانِ، وتقَدَّمَ يسبِقُ صاحِبَهُ، فاقتَرَبَتْ هالَةُ أُختُ خَديجَةَ عليها السلام منهُ فيما أكمَلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله سَيرَهُ.

قالَتْ هالَةُ: "ياعَمّارُ، مالِصاحِبِكَ حاجَةٌ في خَديجَةَ؟".

فقالَ لَها: "واللّهِ لا أدري.". ثُمَّ أسرَعَ يَحثُّ خُطاهُ حتّى لَحِقَ بالنَّبيِّ صلى الله عليه وآله، وأخبَرَهُ بِما سَمِعَهُ!

كانَ في قَلبِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله نَحوَ خَديجَةَ عليها السلام حبٌّ كبيرٌ، لم يَكُنْ لِيُفصِحَ عنهُ لأيٍّ كانَ؛ إذ إنَّهُ ماكانَ يَملِكُ المالَ الّذي يُمكِّنُهُ منَ الإقدامِ على خُطوَةِ الزَّواجِ.

أمّا الآنَ، فها هيَ خَديجَةُ عليها السلام تُعلِنُ عن رَغْبَتِها في أن تكونَ زَوجَتَهُ، وتَختَصِرُ الطَّريقَ إلى المُستَقبَلِ الّذي تمَنّاهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله.



ولم يَتَرَدّدِ النَّبيُّ ﷺ في أن يَطلُبَ إلى صاحِبِهِ أن يذهَبَ إلى خَديجَةَ عليها السلام، ويَعِدَها بأن يأتيها بِصُحبةِ أعمامِهِ، ويَطلُبَ يَدَها للزَّواجِ!

كانَ ذلكَ الصّاحِبُ الّذي حازَ على ثِقَةِ النَّبيِّ ﷺ في ذلكَ الموقِفِ الهامِّ من حَياتِهِ، هو عمّارٌ بنُ ياسِرٍ.

فمَن هُوَ عمّارٌ الّذي قالَ عنهُ النَّبيُّ ﷺ: " .. إنَّ عمّـــاراً جِلدَةٌ ما بينَ عيني وأنفي!."؟

هُوَ عَمّارٌ بنُ ياسِرٍ(رض)، لَقَبُهُ:(أبو اليَقظانِ).

أبوهُ ياسِرٌ منَ اليَمَنِ. كانَ لَهُ أخٌ يَحمِلُ لَهُ في قَلبِهِ الكثيـرَ منَ المَوَدَّةِ والمحبَّةِ.

وصادَفَ أنَّ أخا ياسِرٍ غادَرَ اليَمَنَ مَرَّةً إلى مكَّةَ المُكرَّمَـةِ، دونَ ان يُعلِمَ أهلَهُ بِسَبَبِ سَفَرِهِ، ولا بِمَوعِدِ حُضورِهِ، فقَلِـقَ الأهلُ عَلَيهِ كثيراً وقرَّرَ ياسِرٌ أن يَلحَقَ بِأخيهِ إلى مكَّةَ، لَعَلَّـهُ يعودُ بِهِ!





غادَرَ ياسِرٌ اليَمَنَ معَ أخوَين لَهُ، هُما الحَرثُ، ومالِكٌ. ولكنَّ الأمورَ جَرَتْ على غَيرِ ماكانَ ياسِرٌ قد خَطَّطَ لَهُ، إذ إنَّ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ أسَرَتْ فُؤادَهُ، وأغرَتْهُ بالإقامَةِ فيها مُفَضِّلاً الحياةَ هُناكَ على العَودَةِ إلى وَطَنِهِ ودِيارِهِ.

وكانَتِ العادَةُ في تِلكَ الأيّام، تفرِضُ على القادِمينَ إلى مكَّةَ من خارِجِها أن يُقيموا أحلافاً معَ عائلاتِها العريقَةِ كي يَضمَنوا لأنْفُسِهِمُ الحياةَ الكريمَةَ فيها، معَ أنَّ الأحلافَ تِلكَ كانَتْ تَفرِضُ على الفريقِ القادِمِ من خارِجِ مكَّةَ قَوانينَ وَعُهوداً تُشبِهُ نِظامَ الرَّقيق.

وشاءَتِ الظُروفُ أن يكونَ ياسِرٌ حليفاً لأبي حُذَيفَةَ بنِ المُغيرَةِ المخزوميِّ، الّذي تَمَيَّزَ بالثَّراءِ والنُّفوذِ، إضافَةً إلى اللّينِ والعَطفِ والرَّحمَةِ في وقتٍ واحِدٍ، لذا وَجَدَ ياسِرٌ الحياةَ في ظِلِّ هذا الحليفِ فائِقَةَ السّهولَةِ والرّاحَةِ.

وبالقُربِ من حُذَيفَةَ هذا خَفَقَ قَلبُ ياسِرِ بالحُبِّ لمّا تَعَرَّفَ جارِيَةً رقيقَةَ الطَّبعِ، جَميلَةَ الوجهِ، كانَ يَملِكُها حَليفُهُ حُذَيفَةَ، فتمنّى الزَّواجَ بِها.



وبارَكَ حُذَيفَةُ ذلكَ الزَّواجَ، فَعاشَ ياسِرٌ معَ سُمَيَّةَ حياةً مليئـةً بالحُبِّ والسَّعادَةِ، إلى أن أنجَبا وليداً صغيراً هوَ عمّارٌ الّذي وُلِدَ في العامِ نَفسِهِ الّذي وُلِدَ فيهِ الرَّسولُ ﷺ، وقد عاشَ قريباً منهُ، كواحِدٍ من أقرَبِ أصدِقائِهِ إليهِ فيما بَعدُ، وكادَ يملأُ حياةَ والِدَيهِ أملاً وفَرَحاً لولا أعرافُ الجاهِليَّةِ وقوانينُها البَغيضَةِ!

فالجاهِلِيَّةُ تَقضي على المَولودِ من أَمَةٍ بِأن يكونَ عبداً لِسَيِّدِها! ولم يَترُكْ حُذَيفَةُ الوالِـدانِ يَحزَنـانِ طويلاً، فَسُرعـانَ ما أعتَقَ طِفلَهُما الصَّغيرَ الّذي أسمياهُ (عمّاراً)، فَعادَتْ إليهِمـا البَسمَةُ، وبدأا يَشُقّانِ حَياتَهُما الجَديدَةَ في عالَمٍ لا عُبودِيَّةَ تَحرِمُهُما من أفراحِهِ وجَمالاتِهِ.

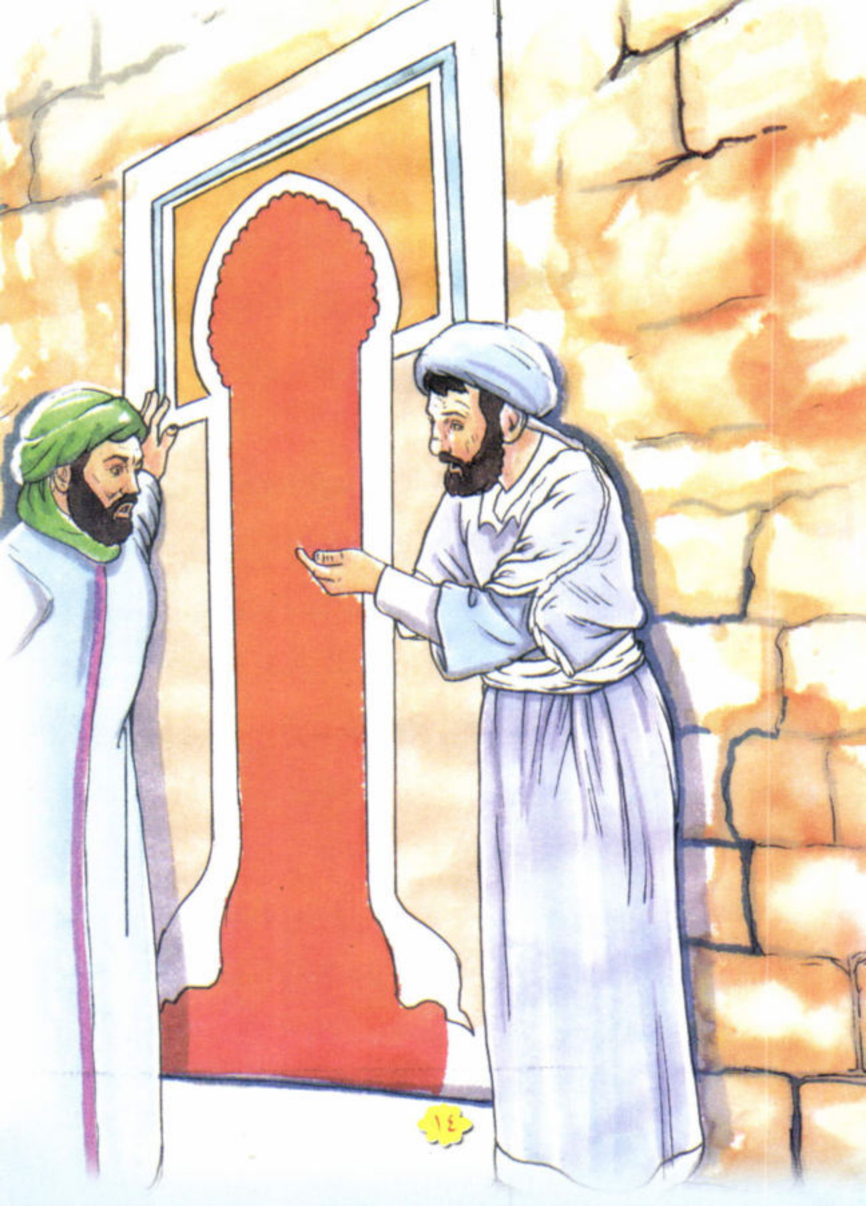
كبِرَ عَمّارٌ في كَنَفِ والِدَيهِ، وصارَ فتىً يافِعاً، ذا أخلاقٍ رفيعَةٍ وفضائِلَ جَهِدَ والِداهُ على غَرسِها في نَفسِهِ، ولا نَنسى قُربَهُ منَ النَّبيِّ ﷺ، فقد كانَ عمّارٌ يَتَعلَّمُ من مَدرَسَةِ النُّبُوَّةِ في كُلِّ يَومٍ فَضيلَةً جَديدَةً.



ولم يَكُنِ النَّبيُّ ﷺ ليأنَفَ يوماً من أن يكونَ فتىً مثلَ عمّارٍ صَديقاً لَهُ، فالفارقُ الاجتِماعيُّ كبيرٌ بينَ مُحَمَّدٍ ﷺ حفيدِ عبدِ المطّلبِ سَيِّدِ ساداتِ قُريشٍ، وبينَ عمّارٍ اللاّجئِ الحليفِ لبني مَخزوم الّذي لايُمكِنُهُ أن يَتَّخِذَ موقِفاً دونَ رأيِ حُلَفائِهِ، وفي قوانينِ الأحلافِ الّتي عُرِفَتْ في تلكَ الأيّام مايُشبِهُ العبوديَّةَ. لكنَّ الرَّسولَ الأكرَمَ ﷺ ماكانَ ليَقيسَ النّاسَ بِأُسَرِهِم وانتِماءاتِهِم، بل بأخلاقِهِم وفَضائِلِهِم.

لقد وَجَدَ النَّبيُّ ﷺ في صُحبَةِ عمّارٍ وأهلِهِ كُلَّ الرِّضا والسَّعادَةِ والمَحَبَّةِ، حتّى تَشَرَّفَتْ تِلكَ الأُسرَةُ بأن تكونَ من أوَّلِ الأُسَرِ اعتِناقاً للإسلام و فِداءً للرِّسالَةِ المُحَمَّدِيَّةِ السّامِيَةِ.

نَزَلَ جِبريلُ (عليه السلام) بالرِّسالَةِ على النَّبيِّ ﷺ بعدَ أن بَلَغَ الأربعينَ من عُمرِهِ الشَّريفِ، حاملاً لهُ أمرَ اللّهِ سُبحانَهُ بأن يَستُرَ دَعوَتَهُ خَشيَةَ تنكيلِ مُشركي قُريشٍ وتَعذيبِهم، لذا لم يكُن يُرافِقُ النَّبيَّ ﷺ في عِباداتِهِ في البَدْءِ سوى اثنينِ هُما: خَديجَةُ (عليها السلام) زَوجَتُهُ وابنُ عَمِّهِ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ (عليه السلام).



إلاّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى فيما بَعدُ أن يُطلِعَ بَعضاً من أصحابِهِ المُخلِصينَ على ما جاءَ بِهِ من حقٍّ ونورٍ، فاختارَ أقرَبَهُم إليهِ، أولئِكَ الّذينَ يَثِقُ في إخلاصِهِم وأمانَتِهِم، ومن بينِ هؤلاءِ عائِلَةُ ياسِرٍ، الّتي أصَرَّتْ على أن تكونَ من أسبَقِ العائلاتِ إلى اتِّباعِ النَّبيِّ ﷺ والسَّيرِ على هُداهُ.

وها هُوَ عمّارٌ بنُ ياسِرٍ وسُميَّةَ يلحَقُ بِوالِدَيهِ، ويحثُّ خُطاهُ إلى دارِ الأرقَمِ حيثُ كانَ النَّبيُّ ﷺ يَلتَقي بالمُسلِمينَ الأوائلِ ويُعَلِّمُهُم. ولكنْ فَجأَةً تَرتَعِدُ خُطوَتَهُ حينَ يَلمَحُ صُهيباً بنَ سِنانٍ الرّوميُّ على بابِ النَّبيِّ ﷺ، فيخافُ كُلٌّ منهُما من أن يكونَ الآخَرُ جاسوساً عليهِ، ولكن حينَ يجتَمِعانِ بالنَّبيِّ ﷺ يخرُجانِ والنّورُ يُشرِقُ من عيونِهما، ويبدآنِ الحياةَ الجَديدَةَ في كَنَفِ الإسلامِ على أن يَكتُما الأمْرَ كي يَتَجَنَّبا أذى المُشركينَ وظُلمَهُم. ولكن، هل مَرَّتِ الأيّامُ فِعلاً دونَ أن يمتَحِنَ اللّهُ سُبحانَهُ قُلوبَ عِبادِهِ المَملوءَةِ بالإيمانِ و التُّقى؟

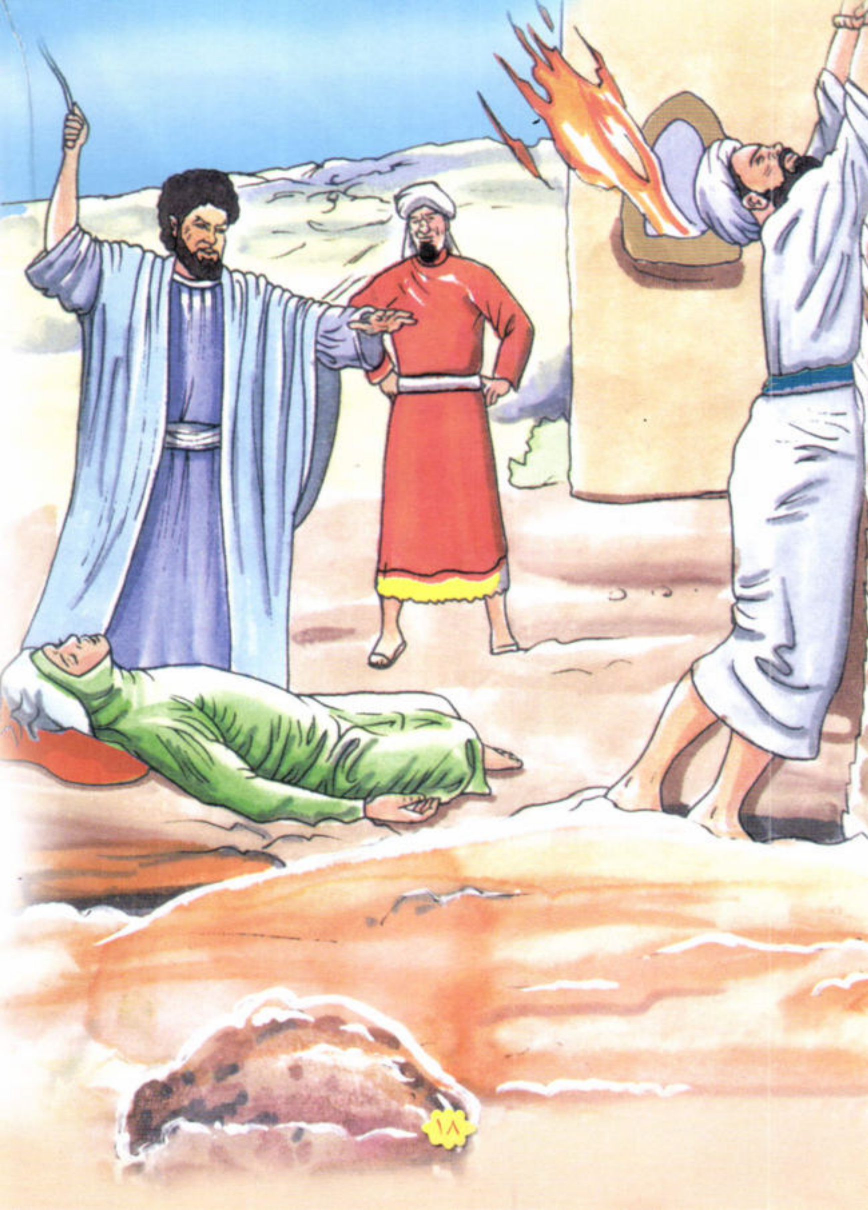


لم يَطُلِ الزَّمانُ حتّى أمَرَ اللّهُ سُبحانَهُ النَّبيَّ ﷺ بأن يُنذِرَ عَشيرَتَهُ وأَهلَهُ الأقربينَ، فكـانَ أبو لَهَبٍ جاهِزاً للوُقـوفِ في طَريقِ كُلِّ خُطوَةٍ يَخطوها النَّبيُّ ﷺ لإعلانِ دينِ الإسلامِ ونَشرِهِ.

وفي المُقابِلِ كانَ للنَّبيِّ ﷺ سَندٌ وحامٍ، هُوَ عَمُّهُ أبو طالبٍ الّذي حَمَلَ سَيفَهُ في وَجهِ أذى المُشـركينَ، وقضى ماتبقّى من حَياتِـهِ حامياً لِمُحَمَّدٍ ﷺ ومُدافِعاً عنهُ.

لذا لم يَجرؤِ المُشرِكونَ على التَّعَرُّضِ للنَّبيِّ ﷺ في تِلكَ الفَترَةِ، معَ أنَّ أحقادَهُم عَلَيهِ كانَتْ تتعاظَمُ بِشَكلٍ مُستَمرٍّ لما كانَ يُلحِقُهُ أبو طالِبٍ بِهِم من مهانَةٍ كُلَّما تَعَرَّضوا لابنِ أخيهِ النَّبيِّ ﷺ.

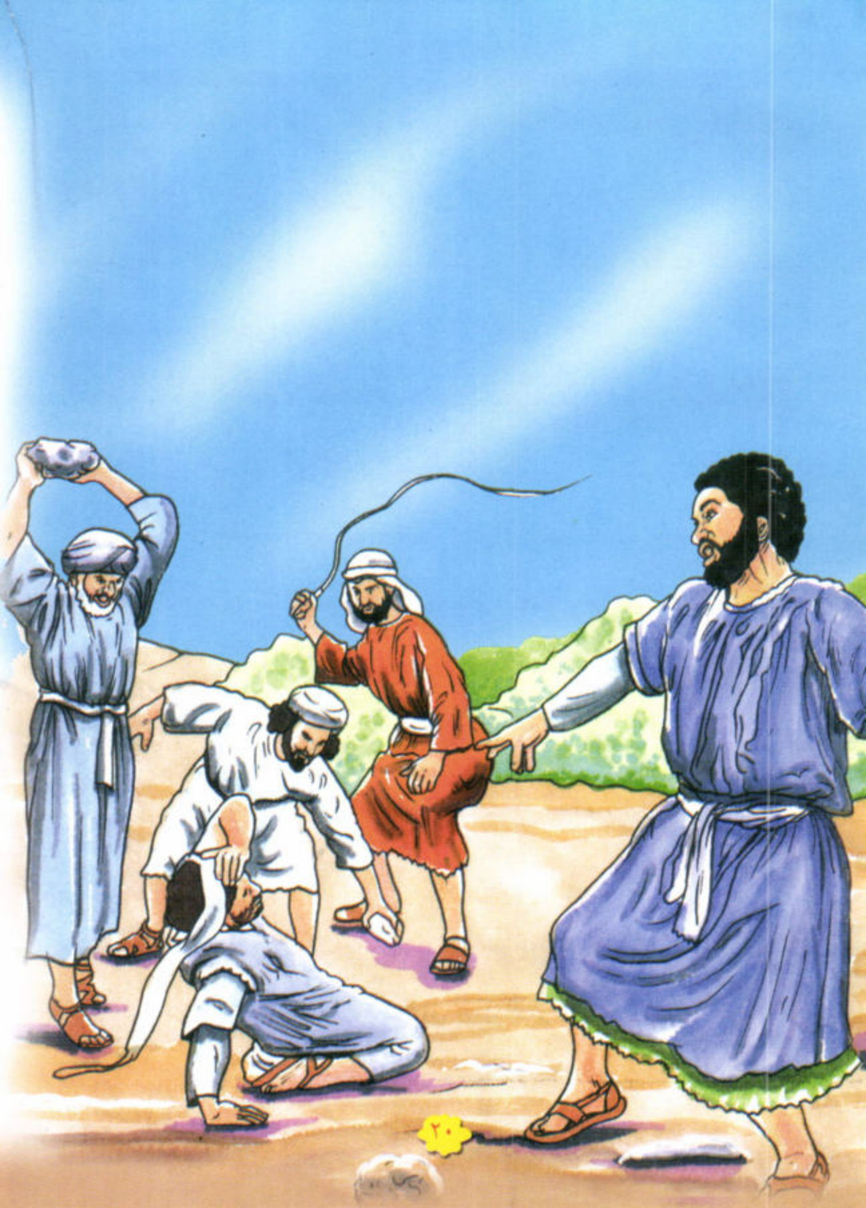
فلم يَجِدوا من وسيلَةٍ للانتِقامِ سوى أن يُعذِّبوا أتباعَ النَّبيِّ ﷺ المُستَضعفينَ، الّذينَ لم يَكُن لَهُم عائلاتٌ كُبرى تَحميهِم وتذودُ عنهُم، وكانَ في ذلكَ امتحانٌ إلهيٌّ لِهذِهِ الثُّلَّةِ من النّاسِ، ومن بينِهم آلُ ياسِرٍ!



إنَّ سُميَّةَ بِنتُ خيّاطٍ والِدَةُ عمّارٍ هيَ سابِعَةُ سَبعَةٍ في الإسلام، وهذا الأمرُ استَفَزَّ مُشركي قُريشٍ الّذينَ يُدرِكونَ ضُعفَ المَرأةِ مُقابلَ طُغيانِهِم وجَبَروتِهِم، لذا اعتَبَروا إسلامَها قِمَّةَ التَّحدّي والهُزءِ بِهِم وبِغَطرَستِهِم، فَأَسرَعَ أبو جَهلٍ ومَنْ مَعَهُ من جَبابِرَةِ القَومِ إليها وزَوجَها، يُطالِبونَهُما بأن يتبَرَّأا من دينِ مُحَمَّدٍ ﷺ ويَرتَدّا إلى عِبادَةِ الأوثانِ والتَّماثيلِ!

لم يَرضَ آلُ ياسِرٍ بِأن يتَراجَعوا عن دينِهِم، فَأضرَمَ المُشرِكونَ النّارَ في دارِهِم. ثُمَّ قَيَّدوا أيديهِم بالأصفادِ وقادوهُم إلى بَطحاءِ مَكَّةَ لِتَبدَأَ فُصولُهُمُ الوَحشِيَّةُ في التَّعذيبِ.

وهُناكَ راحوا يَجْلِدونَهُم بالسِّياطِ، حتّى سالَتْ دِماؤُهُم، ثُمَّ أَضرَموا النّارَ وسلَّطوها عَلَيهِم كما وَضَعوا الحِجارَةَ على صُدورِهِم، فلم يَسمَعوا منهُم إلاّ الشَّهادَةَ بِأن لا إلهَ إلاّ اللّهُ، وأنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ ورسولُهُ، وظَلّوا يُكرِّرونَ فُصولَهُم هذِهِ في تَعذيبِهِم دونَ أن يَصِلوا مَعَهُم إلى نتيجَةٍ.



ذاتَ يَومٍ، وفيما المُشرِكونَ يَجتَهِدونَ في تَعذيبِ آلِ ياسِرٍ، أقبَلَ النَّبيُّ ﷺ، ورآهُم على تِلكَ الحالِ، فَدَعا لَهُم بالفَرَجِ، وبَشَّرَهُم بِالجَنَّةِ، وصَوتُ سُميَّةَ يَرتَفِعُ وهيَ تَقولُ:" أَشهَدُ أَنَّكَ رَسولُ اللّهِ، وأنَّ وَعدَكَ الحَقُّ.".

إنَّ جوابَ المَرأةِ مخالِفٌ لِما تَوَقَّعوهُ إذاً ! فَرَغْمَ ضَعفِها ووَحشِيَّتِهِم ، رَفَضَتْ أنْ تَلفِظَ كَلِمَةً واحِدَةً فيها إساءَةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ ودينِها. وظَلّوا يُعذِّبونَها بِشَكلٍ دائِمٍ، بأَمرٍ من أبي جَهلٍ إلى أن شَتَمَتْ آلِهَتَهُ مرَّةً وَقالَتْ:" بؤساً لكَ ولآلِهَتِكَ.". فَفَقَدَ أبو جَهلٍ صَوابَهُ، وطَعَنَها بِحَربَةٍ كانَ يَحمِلُها فلَفَظَتْ روحَها لِتكونَ أوَّلَ شَهيدَةٍ في الإسلام.

ولم يَكتَفِ أبو جَهلٍ بِقَتلِها، بل مضى إلى زَوجِها ياسِرٍ، وراحَ يَضرِبُهُ على بَطنِهِ، دونَ شَفَقَةٍ ولارَحمَةٍ حتّى استُشهِدَ أيضاً! بَعدَ ذلكَ جاءَ دَورُ عَمّارٍ، إذِ اسْتَفرَدَ بِهِ أبوجَهلٍ بَعدَ استِشهادِ والِدَيهِ، فخافَ وأُرغِمَ على أن يَذكُرَ آلِهَتَهُم بِخَيرٍ، كما أجبَروهُ على أنْ يَذكُرَ النَّبيَّ ﷺ بالسّوءِ، فَخَلَّصَ نَفسَهُ بِذلكَ منَ المَوتِ.



وما إن أطلَقوا سَراحَهُ حتّى انطَلَقَ نَحوَ بيتِ النَّبيِّ ﷺ باكياً، لا على استِشهــــادِ والِدَيـــهِ، بَلْ أسَفــاً لما ذَكَرَ بِهِ النَّبيَّ ﷺ، فمدَّ النَّبيُّ ﷺ يَدَهُ المبارَكَـــةَ يُهَدِّئُ من رَوعِهِ ويَسألُهُ:" كيفَ تَجِـدُ قَلبَكَ ياعَمّارُ؟".

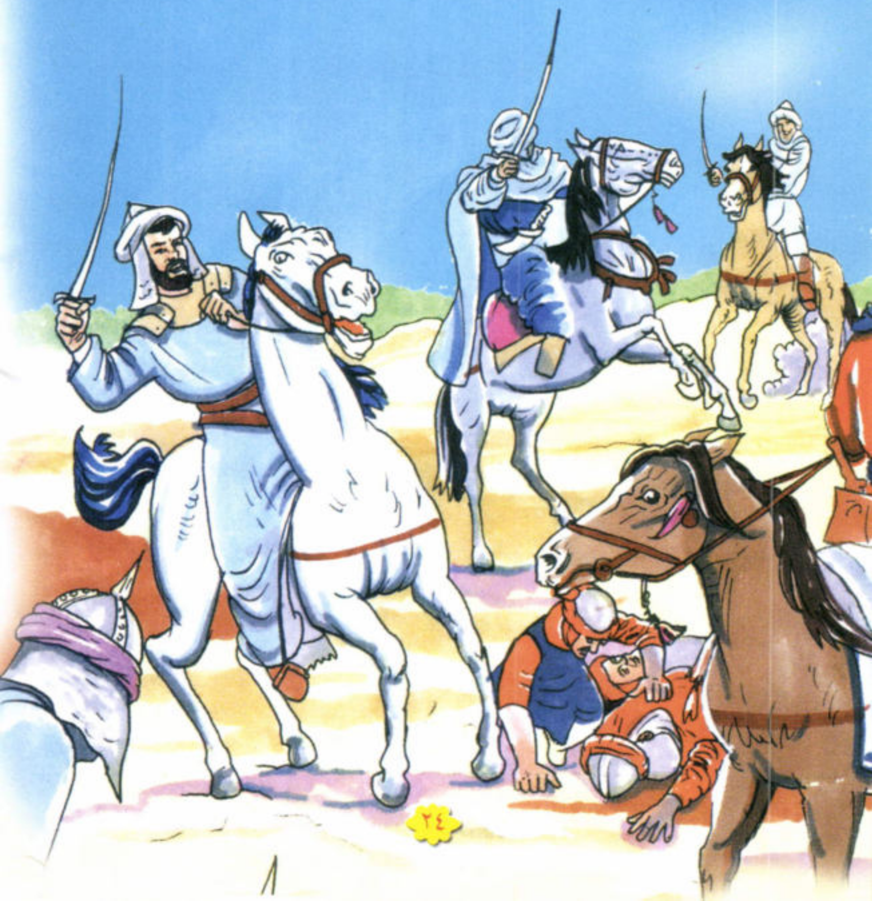
فقالَ:" إنَّهُ مُطمَئِنٌّ بالإيمانِ يا رسولَ اللّهِ!".

فقالَ لَهَ النَّبيُّ ﷺ:" فما عَلَيكَ، فَإن عادوا إليكَ فَعُدْ لِما يُريدونَ، فقد أنزَلَ اللّهُ فيكَ: (إلاّ مَن أُكرِهَ وقَلبُهُ مُطمَئنٌّ بالإيمانِ).".

وهكذا لَم يَعُدْ لِعَمّارِ بنِ ياسِرٍ في هذِهِ الدُّنيا إلاّ النَّبيَّ ﷺ ودينَ الإسلامِ، فكيفَ سارَتْ بِهِ الأيّامُ بَعدَ ذلكَ؟

قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ:" الجَنَّةُ تَشتاقُ إلى ثلاثَةٍ:عليٍّ وعمّارٍ وبلالٍ".

ولَهُ فيهِ أقوالٌ كثيرَةٌ توضِحُ ما لذلكَ الرَّجُـــلِ من دورٍ عظيمٍ في حفظِ الإسلامِ وبناءِ دولَتِهِ، بَعدَ أن أكرَمَهُ اللّهُ سُبحانَهُ وجَعَلَهُ بانيَ أوَّلِ مَسجِدٍ في الإسلامِ، إضافَةً إلى شَهادَةِ النَّبيِّ الأكرَمِ ﷺ على العِبادَةِ الخالِصَةِ للّهِ سُبحانَهُ الّتي ملأَتْ قلبَ عمّارٍ حتّى أكرَمَهُ اللّهُ بالشَّهادَةِ.

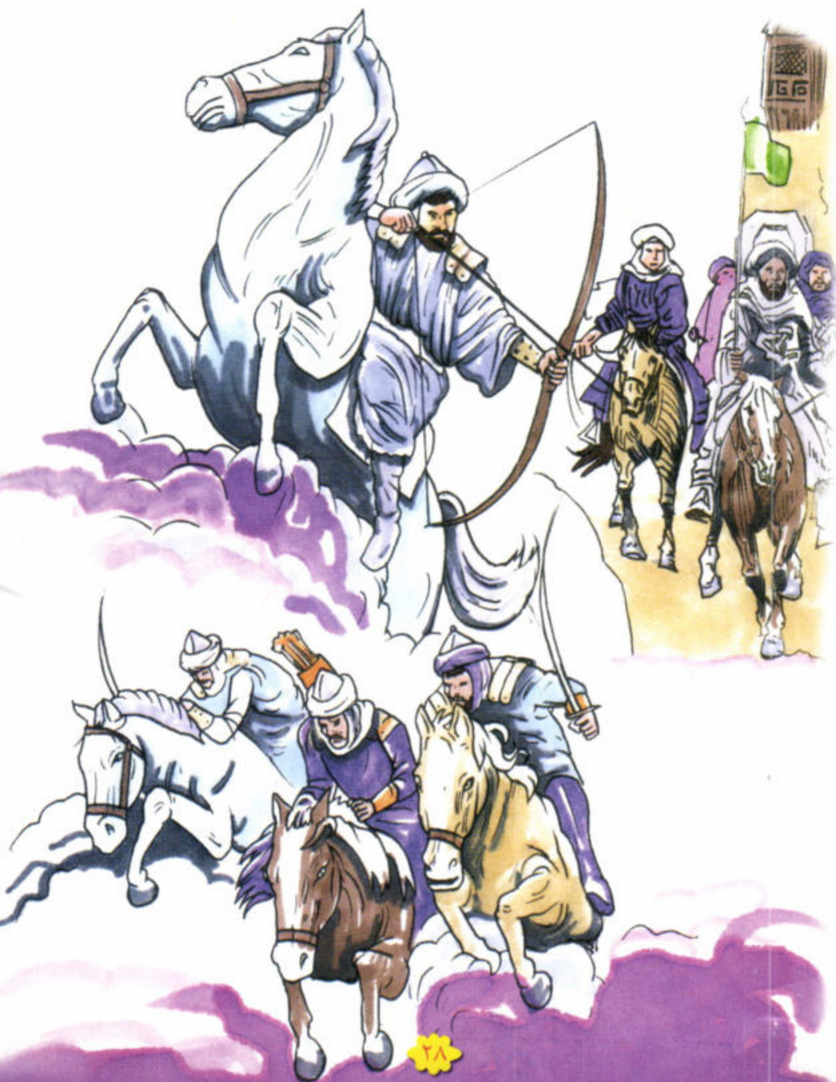


وكانَتِ الشَّهادَةُ بُشرى منَ النَّبيِّ ﷺ إلى عَمّارٍ يَومَ الخَندَقِ،حينَ راَهُ مُقبلاً بِروحِهِ وقَلبِهِ على العَمَلِ بينَ المُسلِمينَ، ولا نَنس ما صَنَعَهُ عمّارٌ في كُلِّ غَزوَةٍ من غَزواتِ المُسلِمينَ، أو فَتحٍ من فُتوحاتِهِم، ففي بَدرٍ وأُحُدٍ والخَندقِ وغَيرِها منَ المَعارِكَ ما كانَ عمّارٌ ليَرضى بِأن يَكونَ إلاّ من بينِ الّذينَ يثبُتونَ في القِتالِ حتّى نِهايَةِ الحَربِ،ولِقُربِهِ منَ النَّبيِّ ﷺ كانَ من بينِ المُسلِمينَ الّذينَ عَرَفوا ما لِعليٍّ عليه السلام من كَرامَةٍ ومن حقٍّ، وهذِهِ المعرِفَةُ حَفِظَها عَمّارٌ في قَلبِهِ، وراحَ يُرَدِّدُ بينَ المُسلِمينَ ما سَمِعَهُ وما رآهُ من فضائِلِ عليٍّ عليه السلام الّتي لاتُحصى، منها ماأخبَرَهُم بِهِ يوماً: سَمِعتُ رَسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ:" أوصي مَنْ آمَنَ بي وصَدَّقَني بالوِلايَةِ لِعَليٍّ، فَإنَّهُ مَنْ تولاّهُ تَولاّني، ومَنْ تَولاّني تولّى اللّهَ، ومَنْ أَحَبَّهُ أحَبَّني، ومَنْ أحَبَّني أحبَّ اللّهَ، ومَنْ أبْغَضَهُ أبغَضَني، ومَنْ أبغَضَني أبْغَضَ اللّهَ عزَّ وجلَّ.".



ولعلَّ عمّاراً من أصدَقِ المُسلِمينَ في إيمانِهِم، لذا ظلَّ مُدافِعاً عنِ الحَقِّ في حَياتِهِ حتّى الموتِ!

وقد تَجلّى هذا الدِّفاعُ بعدَ وفاةِ النَّبيِّ ﷺ مُباشَرَةً، حينَ تَوجَّهَ معَ مجموعَةٍ منَ المُسلِمينَ إلى أبي بَكرٍ يُحذِّرونَهُ من أن يغصِبَ آلَ بيتِ النَّبيِّ ﷺ حقَّهُم في الخِلافَةِ، فقالَ لَهُ:" يا أبا بَكرٍ! لا تَجعَلْ لِنَفسِكَ حقّاً جَعَلَهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ لِغَيرِكَ، ولا تَكُنْ أوَّلَ مَنْ عصى رسولَ اللّهِ ﷺ وَخالَفَهُ في أهلِ بَيتِهِ، وارددُدِ الحقَّ إلى أهلِهِ تُخِفَّ ظَهرَكَ، وتُقِلَّ وِزْرَكَ، وتَلقى رسولَ اللّهِ وهُوَ عَنكَ راضٍ، ثُمَّ تصيرُ إلى الرَّحمنِ فَيُحاسِبُكَ بعَمَلِكَ، ويَسألُكَ عمّا فَعَلتَ.!". بِهذِهِ الجُرأةِ وَقَفَ عمّارٌ يُطالِبُ بِعَودَةِ الحَقِّ إلى آلِ بيتِ النَّبيِّ ﷺ طوالَ حَياتِهِ. ومن مواقِفِهِ المَعروفَةِ يَومَ بويِعَ عُثمانُ خليفَةً بَعدَ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ، إذ وقَفَ بينَ النّاسِ يقولُ لَهُم:" أيّها النّاسُ! إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ أكرَمَنا بِنَبيِّهِ، فأنّى تَصرِفونَ هذا الأمرَ عن أهلِ بَيتِ نبيِّكُم؟".



وقد ساءتْ علاقَةُ عمّارٍ أكثَرَ بِعُثمانَ لمّا رأى ماراَهُ من خُروجِهِ عن تعاليمِ النّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وتفضيلِ أقربائِهِ على عامّةِ المُسلِمينَ، حتّى أنّهُ أوذيَ في زَمَنِ عُثمانَ كما أوذيَ في زَمَنِ مُشركي قُرَيشٍ، لكنَّهُ لم يهدَأْ ولم يستَكِنْ، لأنَّهُ يَذكُرُ تماماً يومَ قالَ لَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: " .. يا عَمّارُ! سَتكونُ فِتْنَةٌ! فَإذا كانَ كذلكَ فاتْبَعْ عَلِيّاً وحِزْبَهُ، فَإنَّهُ مَعَ الحَقِّ، والحَقُّ مَعَهُ! ياعمّارُ! إنَّكَ سَتُقاتِلُ مَعَ عليٍّ على صِنفَينِ: النّاكِثينَ والقاسِطينَ، ثُمَّ تَقتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَةُ.".

فقالَ عمّارٌ: " يا رسولَ اللّهِ ! أليسَ ذلكَ على رِضا اللّهِ وَرِضاكَ؟".

قالَ: " نَعَم. على رِضا اللّهِ ورِضايَ، ويكونُ آخِرُ زادِكَ شُربَةً من لَبَنٍ تَشرَبُهُ.".

لا يُمكِنُ لِعمّارٍ أن ينسى ما أخبَرَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، فالنَّبيُّ لايَنطِقُ عنِ الهوى، وقد عَمِلَ بِما أمَرَهُ بِهِ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، فوَقَفَ في يَومِ الجَمَلِ إلى جانِبِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام، شاهِراً سَيفَهُ، مُعلِناً الحَربَ على مَنْ يُناصِبَ إمامَهُ العَداءَ، وكذلكَ فَعَلَ في يَومِ صفّينَ، حينَ انطَلَقَ يسيرُ غيرَ عابئٍ بِشَيخوخَتِهِ وضَعفِ جِسْمِهِ.



وكانَ المُسلِمونَ يَحفَظـونَ حَديثَ النَّبيِّ ﷺ فيهِ، ويعرِفـونَ أنَّهُ سَينالُ الشَّهادَةَ على أيدي الفِئَةِ الباغِيَـةِ، لـذا كانوا يَعلَمـونَ أنَّهُ لا يُمكِنُ لِعَمّارٍ أن يكونَ نصيراً لِغَيرِ الحقِّ، فكانَ لا يأخُذُ ناحِيَةً ولا وادٍ من أودِيَةِ صِفّينَ إلاّ تَبِعَهُ أصحابُ النَّبيِّ ﷺ يُقاتِلــونَ مَعَهُ. بينَما صَوتُهُ يَهدِرُ فيهِم: " أي إنّي قاتَلتُ وعارَكـتُ هذِهِ الرّايَةَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ، وأنا اليَومَ أُقاتِلُهـا معَ الوَصـيِّ، والرّايَةُ هِيَ لَم تتَبَدَّلْ، ولَم يَتَبَدَّلْ أهلُها، كانوا كُفّاراً، ثُمَّ أظهَروا إسلاماً، وأبطَنـوا نِفاقاً!".

وفي تِلكَ المَعرَكَـةِ أُصيبَ عَمّـارٌ، فَنَزَفَ دَمُـهُ، وعَطِشَ عَطَشاً شَديداً، فجاءَتْهُ امرأةٌ بِوِعاءٍ فيهِ لَبَنٌ،فَشَرِبَ منهُ، ولـم يَلبَثْ بَعـدَ ذلكَ أن فارَقَ الحياةَ، فَحَمَلَـهُ أمـيرُ المُؤمنينَ عليه السلام إلى خيمَتِـــهِ، ماسِحاً الدَّمَ عن وَجْهِهِ، وهُوَ يقولُ: ".. قاتِلُ عمّارٍ في النّارِ".

وقد صلّى الإمامُ عليٌّ عليه السلام عَلى عمّارٍ دونَ أن يُغَسِّلَهُ، ودُفِنَ في ثِيابِهِ. رضيَ اللّهُ على عمّارٍ.

